

عربصاليم

أرفع من الجبل الرفيع

في عملية ضد موقع سجد. عوضاً عن الساق المبتورة، نبتت عزيمة لبث المقاومة العسكرية في من حوله. في ظلالة، نشأ «أبو عيسى الإقليم» الذي وجد أن المقاومة الناصعة متوافرة لدى المقاومة الإسلامية التي كانت حينها في طور الصعود. انضم إليها عام 1985 قبل أن يتم عامه الحادي عشر.

مثل عيسى، كان محمد نجل يحيى الذي سبقه إلى الشهادة قبل أقل من ثلاثين عاماً. وبين عيسى ومحمد، ارتقى اثنان من أبناء إخوانه ومصطفى ابن خالته عزيزة التي استشهدت في القصف الإسرائيلي على موقع الجيش اللبناني خلال مواجهات الجبل الرفيع عام 1997، ثم عدله القائد عاهد سعادة الذي سقط في سوريا قبل أقل من عامين. مثل يحيى كثر في عربصاليم وقرى إقليم التفاح. هؤلاء ما همهم تسمية حركات المقاومة بقدر ما همهم نوعيتها ونصاعتها. لذا تجد صور شهدائهم بين القوى الفلسطينية والأحزاب الوطنية وجبهة المقاومة الوطنية حتى حزب الله وحركة أمل والمقاومة المؤمنة. عبد الكريم جزيني (80 عاماً) من جباع حط في حركة المحرومين «أمل» بعدما أسس حركة القوميين العرب في المنطقة بداية الستينيات. مثاله الرئيس جمال عبد الناصر حملته معه إلى غربته في ساو باولو البرازيلية حيث كان يشارك في التظاهرات الداعمة لمصر ضد العدوان الثلاثي وإسرائيل والغرب، ويجمع التبرعات لها. «قلب أبناء إقليم التفاح أكبر من جبل صافي يسع كل المقاومات الشريفة والقضايا المحقة» يقول جزيني. قلب الإقليم كبير جداً. كيف لا وهو يحمل معلم مليتا؟ وقلب الجبل الرفيع أكبر. كيف لا وقد أنجب أبا محمود نذر المعروف بالحاج عيتا الذي ظهر في شريط بعد عدوان تموز وارتوى من دماء هادي نصر الله وشهداء مواجهة الجبل الرفيع من المقاومة والجيش؟

الثاني هو عاهد سعادة، القائد الذي سقط في سوريا قبل أقل من عامين. كلما أمتد الحديث معها، اكتشفنا أن عربصاليم كلها تسكن في البدلة المرقطة. لا ينسى العدو عناد عربصاليم وأهلها. في عام 1998، قصف المدرسة قبل شهرين من انتهاء العام الدراسي. إمام البلدة وعدد من فاعلياتها حولوا بيوتهم إلى صفوف ليكمل الطلاب دروسهم. كلما سأل أحد عن أهل محمد عيسى لنحيتهم، قاده الناس إلى خاله يحيى مقلد. يجدون أنه الأمثل للحديث لا عن ابن شقيقته وزوج ابنته فحسب، بل عن عربصاليم التي يعني اسمها العرب الأشداء. الشهداء الخمسة الذين قدمتهم العائلة في صفوف المقاومة ومن ينتظر من أولاد أشقائه، هم في ذمة المناضل العتيق. عند انطلاق الثورة الفلسطينية عام 1968، حمل الفتى الفلاح مالا قليلاً وزاده فوق كتفه وارتحل براً إلى سوريا ليقاوم. سمع أن الفدائيين يتنادون إلى الشام للتدريب والتسلح. لم يجد ضالته. نام ثلاثة أيام في الشوارع قبل أن يعود إلى أقدم الجبل الرفيع باحثاً عن الثورة. التحق بالفدائيين الذين تعلقوا بتلال الجبل الرفيع وجبل صافي وقلعة الشقيف إلى الحدود الأمامية مع فلسطين المحتلة. هو ورفاق آخرون من عربصاليم وجوارها شكلوا مثلاً احتذى به عشرات الشباب الذين التحقوا بالفصائل الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية. عندما غادرت منظمة التحرير لبنان إثر الإجتياح الإسرائيلي عام 1982، واجه مقلد صدمته بانهايار الثورة. هام في الأجراف والأودية والمغاور والأنفاق التي ساهم في حفرها، جامعاً الأسلحة التي تركها الفدائيون. خبأها ليصبح قائداً لحركة مقاومة من دون اسم أو عناصر. بمفرده خطط ونفذ عمليات ضد مواقع العدو في التلال المقابلة. في عام 1984، بترت ساقه

أماله خليل

على شرفتها المهادية لعبور موكب الشهيد محمد عيسى في عربصاليم، جهزت أم قاسم سعادة الكراسي وركوة القهوة لاستضافة العائدين من التشيع. حولها، تحلقت بناتها وقربياتها اللواتي حضرن من البقاع الغربي والنبطية وبيروت للمشاركة في وادع أبو عيسى الذي يعرفه الجميع والجبل الرفيع. ترفع رأسها وتدلل على النلة الخضراء المواجهة تماماً. لديها ذكريات قاسية مع الجبل البعيد. برغم تحريرها عام 1985، إلا أن عربصاليم بقيت خط تماس يقصف يوميا.

محتلو الجبل تحكمو بيومياتها. حفظت معالم الطريق العسكرية التي يسلكها جنود الاحتلال والياتهم. تراقب تطور حركتهم. «طلعوا ع النلة»، جنديان ثم خمسة ثم عشرون ثم تقدمت دبابة. حينها تهرع إلى إنذار جيرانها بأن العدو سيقصف أو يتقدم. منهم من يختبئ في القبو ومنهم من يترك منازله إلى منازل أبعد. على نحو تدريجي، بدأت أم قاسم يقهر الاحتلال. لم تعد تترك منزلها كلما شاء العدو. والدها استحدث دشماً من الحجارة سدّ بها النوافذ والأبواب المواجهة للجبل. فالعدو كان يقنص مراراً على غرفة بجدها مضاعة أو يرصد تحركاً فيها. لاحقاً لم يعد لعب الأطفال رهناً لمزاج العدو. تستذكر ابنتها كيف كانت تلعب مع قريناتها في الحقول وإلى جانب مجرى النهر، قبل أن يهرعن إلى البيت عند سماع رشق ما من صوب الجبل. بعد عام 1990، بدأت تتنبه الطفلة لحركة شبان يتنقلون على مهل بين البيوت ويتوجهون نحو مفرق النهر (مجرى نهر الزهراني الذي ينبع من سفح الجبل). تكون انطباعاتها عن أصحاب البدلات المرقطة. مع السنوات، صارت البدلة مؤونة كل بيت. بيت أهلها وأقربائها بدءاً من خالها نزار سعادة. ابن خالها



تحكم محتلو النلة بيوميات اهالي البلدة هيلم الموسوي

